

قراءة في المديح النبوي الشعبي الجزائري ابن مسايب نموذجاً

د. بغداد عبد الرحمن
المركز الجامعي بمغنية - تلمسان

الملخص

يُعَدُّ المديح النبوي الشعبي في الجزائر من أقدم الفنون الشعرية المتجددة ، الذي أرسى قواعده الشعراء الشعبويين مستمدين موضوعاتهم و أساليبهم من مُصدري الدين الإسلامي : القرآن الكريم و السنة النبوية ، و كذا من تكوينهم العلمي و الديني في الزوايا و دور العبادة . و قد وُقِّعَ هؤلاء الشعراء إلى حد كبير في بيان مناقب الرسول صلى الله عليه و سلم تعبيراً نحوه عن مشاعر الوجد و الشوق و الرجاء من ناحية ، و اعتبار أنَّ الحديث عنها هو وسيلة للشفاعة و الغفران من الله تعالى من ناحية أخرى .

و في محاولة منا لتحديد واقع شعر المديح النبوي الشعبي في الجزائر خلال القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد ، تقوم هذه الدراسة على تحليل أشعار أبي عبد الله بن مسايب في المديح النبوي الشعبي كما وردت في ديوانه صلى الله عليه و سلم طبعة ابن خلدون - تلمسان بتحقيق محمد بن الحاج الغوثي بخوشة سنة 2001 و الوقوف على البنى المضمونية و التركيبية والدلالية من دون إغفالٍ للدلالة العامة التي بُنِيَتْ عليها قصائد الشاعر ألا وهي الحب و الشوق للرسول الكريم محمد صلى الله عليه و سلم .

و يضم ديوان ابن مسايب صلى الله عليه و سلم (39) تسعاً و ثلاثين قصيدة موزعة بين الغزل و الرثاء والمديح النبوي. هذا الأخير الذي نجده قائماً على رؤية ذاتية حسية تجسد الإحساس العميق لنفسية الشاعر من جهة ، وعلى التفاني في التعبير عن حبه للرسول صلى الله عليه و سلم من جهة أخرى . و على ضوء ذلك ، سنتناول في هذه الدراسة المباحث الثلاثة التالية :

- 1- الحديث عن نشأة المديح النبوي و تطوره .
- 2- الحديث عن أهم الموضوعات التي تناولها ابن مسايب في شعره المدحي النبوي .
- 3- وقفة مع أهم الخصائص الفنية و الأسلوبية التي تميزت في نماذج من قصائده .

المقدمة :

أَلِفَ الشعراء منذ العصور الأولى على نظم قصائد طويلة تتناول سيرة الرسول الأمين محمد صلى الله عليه و سلم و مناقبه الشريفة لما حظيت به شخصيته صلى الله عليه و سلم في أنفسهم من حب و تقدير، حتى أصبحت تلك القصائد في المديح النبوي خير مصور لمشاعر الحب والوفاء و الرجاء ، و متنفساً لبؤس الحياة و تقلباتها ، و وسيلة للشفاعة و التقرب من الله تعالى ، و عُفْراً للذنوب و الخطايا بل يمكن عدّها بالسفر الشعري للسيرة النبوية الذي يتجلى فيه الصدق الفني و قوة الإيمان و رفعة الأخلاق . و في هذا الإطار ، نجد ببلاد المغرب العربي الشاعر ابن مسايب الذي برع هو الآخر في مدحه للنبي الكريم صلى الله عليه و سلم براعة بلغ بها شأواً بعيداً في حسن الديباجة و صياغة الأبيات ، وهو في مدحه هذا لا يقل براعة عن سابقيه من الشعراء .

و الشاعر هو أبو عبد الله محمد بن مسايب أحد أبرز شعراء الشعر الشعبي في الجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي . لم يسجل التاريخ عن حياته إلا القليل من الأخبار، سواء تلك التي تحدثت عن مولده أو التي تعلقت بظروف حياته الاجتماعية ، و لعل شأنه في ذلك شأن أقرانه من شعراء الأدب الشعبي أمثال ابن سهل و ابن التريكي و غيرهما . و إن معظم ما وصلنا عنه كان متناقلاً شفاهاً ، حيث تذكر المصادر التاريخية أن الشاعر ولد أثناء العهد العثماني أوائل القرن الثاني عشر للهجرة ، و هذا بدليل نظمه لقصيدة «عمدالي ما وجدت صبرا» التي أرخ لها عام تسعة عشر بعد المئة و الألف صلى الله عليه وسلم 1119هـ) . و أن أصله ينحدر من أسرة أندلسية لجأت إلى مدينة فاس و منها إلى تلمسان ، حيث نشأ وتعلم فيها. عاش متنقلاً بين المدن ، ينظم الشعر في كل أغراضه منها : الشعر الديني في مدح النبي صلى الله عليه وسلم و الأولياء الصالحين ، و الغزل و الرثاء و تجربة في الشعر الصوفي . في حين تذكر بأن تاريخ وفاته ربما يكون في عام 1768 م بينما رواية ثانية تذكر العام 1776 م ، و بعد أن عمر طويلاً دفن في مقبرة سيدي محمد السنوسي قرب تلمسان .

أما عن التجربة الشعري لابن مسايب ، فقد تنوعت بين الغزل في تعلق قلب الشاعر

بالأحبة ، و بين رثاء الأصدقاء و حزنه لفقدهم ، و بين شعر المديح في المصطفى صلى الله عليه و سلم و الشيوخ و الأولياء الصالحين . و مما شك فيه أنَّه كان للتكوين الديني أثر عميق في نفس ابن مسايب و في فكره و شعره ، حيث ظهر ذلك جلياً في القصائد التي كتبها في هذا المجال و التي كان معظمها يدور حول مدح النبي و أخرى حول بعض المرابطين والأولياء الصالحين، و قصيدة حول رحلته لأداء فريضة الحج . و لعل المتصفح لديوانه ، يجد مجمل قصائده تنبئ عن حرص الشاعر على انتمائه الديني و استحضاره في حبه للرسول صلى الله عليه و سلم و تقديره و إثارة على نفسه . و كأن الشاعر أراد أن يبدأ حياة جديدة الغاية منها - كما يذكر بخوشة - هي : «محو سيئات فترة الشباب ، و في نيل رضوان الخالق»¹ . و مما يجب ذكره أيضاً في هذا الصدد، أن أسباب ازدهار الشعر الشعبي أو الملحون في الجزائر بهذا النوع إنما مرده إلى مسيطرة الوضع العام السائد آنذاك في الجزائر، سواء منه الذي تحدث عن صمود الجزائريين أمام غارات الأوربيين، أو الذي وصف الحياة اليومية للجزائريين وطريقة مدحهم رجال الدين و المرابطين و السياسة . و هكذا كان للبيئة الدينية أثر كبير في صقل الموهبة الشعرية لدى ابن مسايب ، الأمر الذي مكنه من أن يكسب شهرة لا نظير لها ببلاد المغرب العربي في الشعر الديني المدحي .

إذن و من هذا المنطلق ، جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على أشعار المديح النبوي في ديوان ابن مسايب التي مثلت تجربة ذاتية خاصة سبق فيها حيناً غيره من الشعراء ، و قد أوقفنا الدراسة على مدخل تحدثت فيه عن نشأة المديح النبوي و تطوره ، ثم تطرقت إلى أهم الموضوعات التي تناولها ابن مسايب في شعره المدحي النبوي ، وأخيراً وقفنا عند أهم الخصائص الفنية الأسلوبية التي تميزت في نماذج من قصائده.

1- النشأة والتطور :

لا نبالغ إذا قلنا أن قصيدة المديح النبوي تكاد تكون واحدة - سواء بمبانيها أو بأشكالها - من الأشعار التي تعامل معها الشعراء بمرونة متناهية ، لكونها تتكيف مع كل عصر دون أن تفقد عمودها الفقري المتجذر في العصر الإسلامي . و لعل سر ارتياح الشاعر لذلك النوع من الشعر هو: «إبتهاج النفس للإشادة بالسمو الإنساني ، و لتصور مثلٍ عليا للإنسانية»² .

و إذا كان مَدْحُ الخليفة بالقيم المعروفة آنذاك كالكرم و الشجاعة و الحزم و الفصاحة و النسب مألوفاً في أسلوب الشعر الجاهلي ، فإن الأسلوب الإسلامي مَدَحُ الخليفة بفضائل أخلاقية كالعقل و العفة و العدل و الشجاعة والكرم و تدبير الفتوح و حسن السياسة³. ثم ارتقى شعر المديح رقياً ملحوظاً في العصر الإسلامي ، حيث نظم الشعراء القصائد الطوال يمدحون فيها النبي صلى الله عليه و سلم و يشيدون بفضائل الإسلام و شيم المسلمين و من بينهم : حسان بن ثابت ، و عبد الله ابن رواحة ، و كعب بن مالك . و من هنا بدأت نشأة الشعر الديني عند العرب مشخصة في المدائح النبوية. ثم تطور هذا الشعر، وأخذ يتبارى فيه شعراء الإسلام منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا، بل و أصبح النظم - لدى الكثير من الشعراء - في الذات المحمدية واجباً إسلامياً كبيراً، مما جعلهم يجمعون في شعرهم عُقوداً من الروائع الأدبية المزدانة بالجمال اللفظي، والمفعمة بالعواطف و الأحاسيس العميقة . و لعل محبة أبي طالب لابن أخيه جعلته يكون من المبادرين الأوائل في نظم شعر المديح النبوي ، ويكفي أن نقرأ أبياتاً من قصيدته البائية التي أشادت - على وجه الخصوص - بخصال الرسول صلى الله عليه و سلم ، حتى نعرف مدى حب العمّ لابن أخيه و قدر تفانيه بهذا الحب ، حيث قال :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا ù نَبِيًّا كَمَوْسَى خُطِّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ؟

وَ أَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً ù وَ لَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ⁴

فكان أصدق تعبير عن محبة أبي طالب للنبي عليه الصلاة و السلام شهادته و عرفانه برسالة و نبوة محمد عليه الصلاة و السلام . كما صرح أبو طالب في بيتين آخرين من الشعر بتلك النبوة و مدحه لمحمد عليه الصلاة والسلام قائلاً :

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ù فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللَّهِ فِي النَّاسِ أَحْمَدُ

وَ شَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ù فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَ هَذَا مُحَمَّدُ⁵

ولعل ما ناله أبو طالب من شرف لقاء النبي عليه الصلاة و السلام و محادثته، كان له النصيب الأوفى من محبته والدفاع عنه أمام سَرَاةِ قريش و كبرائها، فكان أوضح و أظهر من أن يستدل على ذلك في شعره:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ù حتّى أوسد في التراب دفيناً

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ù و ابشر بذاك وقرّ منك عيوناً

ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ù و لقد دعوت وكنت ثم أamina

ولقد علمت بأن دين محمد ù من خير أديان البرية دينا⁶

ثم ما لبثت بذرة حب الناس للرسول عليه الصلاة والسلام تنمو و تثمر ، حتى أصبحت أساساً متيناً بنى عليه شعراء كبار منهمجهم في الكفاح عن الرسول عليه الصلاة والسلام بلسانهم ، و قد كان لحسان بن ثابت السبق في هذا المجال ، حتى عُرف بـ « شاعر الرسول » بعد أن جاء- على لسان النبي عليه الصلاة والسلام - تأييد روح القدس له فقال: «اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَ جَبْرِيلُ مَعَكَ»⁷ ومن قصائد الشاعر الجميلة التي وصف فيها تفانيه في حب الرسول عليه الصلاة والسلام قوله :

أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ ù إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَ الشَّيْعُ

أَهْدَى لَهُمْ مَدْحِي قَوْمٌ يُؤَاوِرُهُ ù فِيمَا يُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ، ù إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا⁸

إلا أن حسان في مديحه للرسول عليه الصلاة والسلام ، و لأصحابه رضي الله عنهم ، كان ينظر إليهم من الزاوية الإسلامية العامة ، لا من الزاوية القبلية ، لذلك جاءت جل مدائحه النبوية صادقة ، نابعة من قلبه وعقله، حيث يقول :

أَغْرُ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ù مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ وَيُشْهَدُ

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ، ù إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدِّنُ أَشْهَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ، ù فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ ، وَ هَذَا مُحَمَّدٌ

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَاسٍ وَ فِتْرَةٍ ù مِنْ الرُّسُلِ، وَالْأَوْتَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ⁹

أما مدح كعب بن زهير للرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد تجلّى - على وجه الخصوص - في « بردته » التي وقف النقاد عندها كثيراً بالدرس و الشرح ، و التي يقول في مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم مَبْتُولٌ ù متيم إثرها لم يُجَزَ مَكْبُولٌ¹⁰

و فيها أيضا يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله :

أُنَبِّئُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ù و العفو عند رسول الله مأمولٌ

مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الـ ù قرآنٍ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ

إِنَّ الرِّسُولَ لَسَيِّفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ù مَهْنَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مُسْلُولٌ¹¹

و في مقابل ذلك ، نجد من شعراء الكفار من مدح النبي عليه الصلاة و السلام و أثنى على أخلاقه الكريمة ، كالأعشى الكبير ميمون بن قيس الذي مدح النبي عليه الصلاة و السلام بقصيدة رائعة قال فيها :

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَذِكْرُهُ ù أَغَارَ، لَعَمْرِي، فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ، وَ نَائِلٌ ، ù وَ لَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا

أَجِدُّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ، ù نَبِيٍّ الْإِلَهِ ، حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا¹²

و هكذا اتصل مدح النبي عليه الصلاة و السلام في حياته بذكر أخلاقه و أوصافه ، و استمرت رسالة شعراء المديح في إبراز ولائهم للرسول عليه الصلاة و السلام ، معبرين بصدق عن هذا الانتماء العقائدي ، فتميزت أشعارهم بأسلوب خاص جعل حظها من الإجادة واسعاً، كما جعل فهمها ممكناً لدى الكثير من الناس.

و بعد قيام دولة بني أمية، جرت أحداث جسيمة لآل بيت الهاشميين و أنصار الإمام علي- رضي الله عنه- و تشيع لهم من تشييع من الشعراء ، مما فتح الباب على مصراعيه أمام المبالغة في مدحهم و الثناء عليهم، فكثر الشعراء و اشتهر منهم : الكميت بن زيد الأسدي الذي كان مدحه للنبي عليه الصلاة و السلام غزيراً، مما جعل العديد من الدارسين و النقاد يقفون عند «هاشمياته» لاستكناه جوانب ذلك الولاء الديني . يقول في إحدى أشعاره :

فاعتتب الشوق في فؤادي ù و الشعر إلى من إليه معتتب

إلى السراج المنير أحمد ù لا يعدلني رغبة و لا رهب¹³

و تستمر المدائح النبوية دائرة حول أوصاف النبي عليه الصلاة و السلام الخُلُقِيَّة و الخُلُقِيَّة المعروفة ، إلى حين انتشار الصوفية في القرن السابع الهجري الذي بدأ يعرف تسابقاً كبيراً للشعراء في مضمار المدائح النبوية . و لعل البداية الفعلية لهذا المديح بنفَسِ التصوف المتميز كانت على يد البوصيري الذي أفرغ طاقته وأوقف شعره على مدح النبي عليه الصلاة و السلام ، وكان من ثمار مدائحه النبوية قصيدته

الشهيرة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية» ، والمعروفة باسم «البردة» التي :
«كانت من أشهر القصائد في هذا الباب كما كانت مصدر الوحي لكثير من القصائد
التي أنشئت بعد البوصيري»¹⁴ . و التي يقول في مطلعها :

أمن تذكّر جيرانٍ بذِي سلمٍ ò مزجتَ دمعاً جرى من مقلّةٍ بدمٍ¹⁵ .

و قصيدته «الهمزية» التي تعتبر أطول القصائد في المديح النبوي ، و مطلعها :
كيف ترقى رقيك الأنبياء ò يا سماء ما طاولتها سماء¹⁶ .

و أقبل الشعراء بعد البوصيري على برده ، يتبارون في التبرك بالنظم في الرسول
عليه الصلاة والسلام مدحاً و إشادةً ، فنسجوا على منوالها و تفننوا في ذلك إلى حدّ
إنشاء فنون أدبية مميزة و درر من الشعر العربي ، و من أمثال أولئك نجد :

1- بديعية صفي الدين الحلي التي مطلعها :

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ الْعَلَمِ ò وَ اقْرَ السَّلَامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمٍ¹⁷ .

و قد سار فيها على نهج «البردة» وزناً و رويّاً و مضموناً و أجزاءً ، و أصبح كل بيت
من أبياتها خاصاً بلون من ألوان علم البديع في البلاغة .

2- المديح النبوي المنسوب إلى ابن جابر الأندلسي ، و الذي مطلعها :

بِطَيْبَةِ أَنْزَلٍ وَ يَمِّمِ سَيِّدِ الْأَمَمِ ò وَ انْثُرْ لَهُ الْمَدْحَ وَ انْثُرْ أَطْيَبَ الْكَلِمِ¹⁸ .

3- معارضة محمود سامي البارودي الطويلة التي بلغت صلى الله عليه و سلم
(447 بيتاً) و أسماها بـ : «كشف الغمة في مدح سيد الأمة » ، و مطلعها:

يَا رَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمِ دَارَةَ الْعَلَمِ ò وَ اخْذُ الْغَمَامَ إِلَى حَيِّ بِذِي سَلَمٍ¹⁹ .

4- معارضة أحمد شوقي المسماة بـ : « نهج البردة » ذات صلى الله عليه و سلم
(190 بيتاً) و مطلعها:

ريم على القاع بين البان و العلم ò أحل سفك دمي في الأشهر الحرم²⁰ .

أما في الجزائر ، فقد حظي المديح النبوي باهتمام كبير من قبل شعراء الشعر
الشعبي إلى درجة أنه : «سيطر على الحياة الفكرية و السياسية و الثقافية ، و ترك
المجال مفتوحاً أمام هذا اللون من الشعر، فأخذ الشعراء يلتفتون إلى عصر الرسالة

يشتدون به من هذا الظلم الذي سلط عليهم، فوجدوا في المدائح الرحاب التي يمكن أن يسكنوا إليها ويطمنوا فيها ، و أنشدوا تلك القصائد و كأنهم يرثون الحالة التي وصلت إليها البلاد ، و هم في مدحهم للنبي إنما يبتعدون عن الواقع الذي لا يجدون فيه ما يبعث على التفاؤل، فعادوا إلى النبوة يستلهمون منها و يستنجدون بها»²¹.

و أصبح بعد ذلك المديح النبوي غرضاً مستقلاً ، يحتل مساحة واسعة من الشعر الجزائري عموماً والشعبي على وجه الخصوص ، حيث توجهت إليه قرائح الشعراء تنظم فيه القصائد الطوال في حب النبي الكريم عليه الصلاة و السلام و تقديره على اتجاهين : «الأول هو ما كان امتداداً للتراث القديم في هذا الموضوع ، و هو يرتبط أساساً بالنظرة الصوفية إلى حد كبير . أما النوع الثاني فهو الذي اتخذ من مدح الرسول عليه الصلاة و السلام مبدأ الدعوة إلى النهوض و اليقظة و ذلك بعد أن تطورت الحياة الفكرية والأدبية و السياسية ، فالأول كان تعبيراً عن مرحلة حضارية عاشتها الجزائر قبل هذا القرن ، و كان الدين فيها قد أصبح هو القوة الوحيدة التي بقيت للناس في حياتهم ، أما النوع الثاني فكان تعبيراً عن مرحلة حضارية جديدة انتقلت إليها الجزائر للظروف التي تحدثنا عنها سابقاً»²². كما كان للمتصوفة الذين بزَّ وجودهم في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر أمثال عبد العزيز المغراوي، و الحاج عيسى لغواطي، و عبد القادر الزرهوني، و عبد الرحمن المجدوب ، و الحاج مبارك بولطباق و سيدي أحمد لغارابي ، و عبد القادر بلوهراني، و سيدي أحمد بن عوده و غيرهم ، أثر في التمهيد لفكرة المديح النبوي في قصائد مستقلة و ربطه بالحب الإلهي .

و من بين الشعراء الشعبيين الذين نظموا في المديح النبوي ، نجد ابن التريكي - الذي كان يزور قبر النبي الكريم - في حاجة إلى الاعتراف بذنوبه وإسرافه، وهو ما يعبر عنه قائلاً:

دَمْعِي سَكِيبُ ù وَ النَّارُ فَكُبَادِي

يَا شَمْسُ الْمَغِيبُ ù سَلَّمَ عَلَى الْهَادِي²³

إلى أن يقول معبرا عن مدى حبه وعشقه للرسول عليه الصلاة و السلام بعد الله سبحانه و تعالى :

طَهَ الْحَبِيبُ ù هُوَ غَايَةُ مُرَادِي

يَا شَمْسُ الْمَغِيبِ ù سَلِّمْ عَلَى الْهَادِي²⁴

و صارت عبارة «الصلاة و السلام على النبي» من العبارات المألوفة في المديح النبوي ،
فها هو ذا الشاعر المنداسي يكثر في شعره من الصلاة و السلام على خير الورى امتثالاً
لله تعالى الذي يأمرنا بالصلاة و السلام عليه ، حيث يقول :

يَا حَبِيبَ اللَّهِ حَضِي فِي الرَّضَى ù إِنَّ لِي بِبَابِ نَحْبٍ وَ حَفِيلٍ
فَانْتَظَرُ إِنَّ دُنُوبِي كَثُرَتْ ù وَ قَلَّ عَزْمِي بِالْخَطَايَا وَ الْكَسَلِ
مَا لِدُنُوبِي عَنْ تَجَلَّى فَضْلِكُمْ ù يَا رَسُولَ اللَّهِ لَعَبْدٌ حَصَلَ
صَلَّى يَا رَبِّي عَلَى مَنْ بِأَسْمِهِ ù يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعَبْدِ الْعَمَلُ²⁵

ويقارع الشاعر الأخضر بن خلوف سابقه في تتبع فضل الرسول عليه الصلاة و
السلام والإشادة بمكانته، إذ لولاه لما خُلِقَ الكون و من فيه ، و في ذلك يقول :

لَوْلَا أَنْتَ لَا كَانَ خَلْقُنَا مِنْ تَرَابٍ ù وَ فِيهِ بِالصَّحِّ نَرْجِعُوا بِالْيَيْنِ
وَ مِنْهَا الْخُرُوجُ تَارَةً لِلْحَسَابِ ù يَوْمًا لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الْعَرَبِيِّ ù يَا سَرَّاجَ الدَّهْرِ أَحْمَدَ الْأَمِينِ²⁶

و في قصيدة أخرى، يسعى ابن خلوف إلى تعداد صفات الحبيب المصطفى و حشد
أكبر عدد ممكن من الصور البهية التي ترسم جماله و هيئته عليه الصلاة و السلام ،
و في ذلك يقول :

يَا سَابِغَ الشَّفَرِ يَا دَاعِجَ الْأَعْيَانِ ù يَا ذُو الْمَحَاسَنِ الْبَاهِيَةِ
يَا زَيْنَ الْإِسْمِ يَا مَفْلَجَ الْأَسْنَانِ ù يَا وَلَدَ يَأْمَنُهُ السَّعْدِيَّةُ
يَا سَعْدُ مَنْ يُصَلِّي عَنْكَ مَضْمَانٌ ù مَاوَاهُ جَنَّةُ الْأَتْقِيَةِ²⁷

و يعنينا من كل ما ذكرناه أمرٌ واحدٌ هو : أنَّ قصائد المديح النبوي تبقى تمثل البذور
الأولى للشعر الديني ، كما سَتَظَلُّ تجسد تلك المادة الأدبية ذات القيمة الكبيرة فنياً و
مضمونياً ، سواء عبر تشبُّع الشاعر بتلك الروح الدينية العالية التي أفضت إلى التعبير
عن نَفْثَةِ الْحَبِّ الصادقة لشخص النبي عليه الصلاة و السلام ، أو من خلال رغبته في
أَنْ يُعَمِّقَ في نفس الآخرين الإيمانَ بصاحب الرسالة عليه الصلاة و السلام و الارتباطَ

به برباطٍ تعبديّ متينٍ و مميّز. و بهذا تكون المدائح النبوية قد رسمت لنفسها- عبر عصورها الزاهرة - خطأً فريداً يختص بمدح النبي عليه الصلاة و السلام، و نهجاً واضحاً سار عليه الشعراء معبرين عن مدى محبتهم للرسول عليه الصلاة و السلام ، و هو الطريق الذي صورته زكي مبارك بقوله أنه لابدّ أن يرى : «كيف مُدِحَ الرسول أولاً على الطرائق الجاهلية، و كيف انتقل هذا الفن إلى التشيع ، و كيف عاد مدحاً خالصاً للرسول ، و كيف صار بعد ذلك فناً أدبياً تُقَيَّدُ به ضروب الزُخْرَف باسم البديعيات ، و أثّر ذلك كله في نشر الثقافة الأدبية»²⁸.

2 - موضوعات المديح النبوي الشعبي عند ابن مسايب :

و نحن نطالع مضامين ديوان ابن مسايب استوقفنا شعره في المديح النبوي ، الذي أبان عن قدرة الشاعر في استلهاام الدلالات المتنوعة التي أوّمت إليها شخصية الرسول عليه الصلاة و السلام باعتبارها شخصية متعددة الملامح و المواقف، قد أخذت في قصائد الشاعر المدحية دلالات متنوعة و كثيرة بيد أنه كان يختار من تلك الملامح و المواقف ما ينسجم و تجربته النفسية .

لا ريب أن محرك قصائد ابن مسايب المدحية هو حب ذات الرسول عليه الصلاة و السلام ، و الشاعر كان رجلاً مؤمناً، و لعل صدق إيمانه هو الذي أدى إلى اعترافه برفعة النبي الكريم بقلبه و عقله حيث يقول في قصيدته بعنوان «بدر الدجى» :

زَهْوِيْ وَ عَشِيْقِيْ فِيْئِهِ ù سَيِّدُ الْبَشَرِ
قَلْبِيْ مُوَلَّخٌ بِهِ ù مَا لِيْ صَبِرُ
فِيْ مُحَبَّتِهِ خَلِيْئُهُ ù تَفْنَى الْعُمْرُ
مِنْ كُلِّ وَسْوَاسٍ ù قَلْبِيْ أَرْتَاحٌ²⁹

و قد بدَّ حُبَّ النبي عليه الصلاة و السلام في جَسَد ابن مسايب ، إلا الأمر الذي اقتضى منه أن يثبت تلك المحبة له بطرق مختلفة ، فراح مرة يتوسله أو على حد تعبير دعائه بحديث رائق عذب ، يتوجه به إلى الرسول الكريم ، فيناديه و يذكر بعضاً من خصاله فيقول :

ذَكَرَكَ زَهْوُ قَلْبِيْ ù يِقْوَى فِيْكَ حُبِّيْ
يَا مَحْبُوبُ رَبِّيْ ù يَا النَّبِيَّ الْأَمَجْدُ زَيْنَ الْحَزَامِ

كَيْفَ يَكُونُ طِبِّي ù إِذَا وَقَعَ شَيْءٌ لِي سِيْدِي خَصَامٌ³⁰

و مرة أخرى نراه يصور لنا محبته الصادقة لرسول الله عليه الصلاة و السلام من خلال عرض ما عرف عن شخصيته و أوصافه من حياته الطيبة باعتبارها المثل الأعلى لأي مسلم حيث يقول:

حُبِّي مَن نَهَوَاهُ ù بَدْرُ الْبُدُورِ

سُبْحَانَ مَنْ عَلَاهُ ù فَاقْ كُلُّ نُورِ

عَزُّهُ الْكَرِيمُ وَ اعْطَاهُ ù زَهُوُ الصُّدُورِ

مَنْهُ زَهَاتِ النَّاسِ ù قُطْبُ الْفَلَاحِ³¹

و لعل الشاعر اتخذ من الحديث عن شخصية المصطفى عليه الصلاة و السلام مَعْبَرًا للحديث إلى المتلقين كافة، حيث يذوب الخاص و الجزء في الكل ، لأنَّ الذات الشخصية تتحول لدى القارئ إلى الموضوع عند المقاربة الفعلية للنص ، فالمتلقي الظاهري يتحول لحظة القراءة إلى جزء من الرسالة³².

و في قصيدته التي تحمل عنوان «سُعْدِي بِكَ سَعْدَيْنِ» يتخذ من الوصف أسلوباً للتعبير عن حبه للرسول عليه الصلاة و السلام ، فيقول في ذلك :

بِحُبِّكَ يَا الْمُخْتَارَ ù رَاهُ عَقْلِي طَارَ

هَآيِمٌ لَيْلٌ وَ نَهَارُ ù غَابَ صَبْرِي فَآنِي مِثْلَ الْحَمَامِ

بَيْنَ اغْصَانِ الْأَشْجَارِ ù دَائِمٌ يَنْوَحُ مِنْ فَقْدِ الرِّسَامِ

حُبِّكَ بِهِ مَشْغُوفٌ ù يَبْرِي الذَّاتَ وَالْجُوفَ

مَنْهُ صِرْتُ مَلْهُوفٌ ù وَ الْفِرَاقُ يَخَاصِمُ فِيَّ خَصَامَ

طُولِ الدَّهْرِ مَرْجُوفٌ ù حُسْنُ زَيْنِكَ نِتْمَنِي بِالدَّوَامِ³³

الملاحظ أن باعث نظم هذه الأبيات هو حب الشاعر الكبير للنبي عليه الصلاة و السلام و عشقه له ، فلا يستطيع ابن مسايب لحظة أن يصبر عن هواه لحبيبه ، و لاشك - كما قال نجيب الكيلاني : « أَنَّ حُبَّكَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ عَشَقَكَ لَهُ ، سَيَدْفَعُكَ حَتْمًا إِلَى السَّيْرِ فِي طَرِيقِهِ وَ اقْتِفَاءً أَثَرَهُ فِي حَيَاتِكَ ، وَ هَذَا هُوَ الْهَدَفُ وَ

و في القصيدة ذاتها يحاول الشاعر توظيف أسلوب المناجاة إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و سلم في تصوير معاناته الخاصة به. وهو أسلوب نابغ من أعماق النفس ليس فيه رياء لأن الشاعر إنما يصور حالته الإنسانية بضعفها واستكانتها :

سَعْدِي بِكَ سَعْدِي ù يَا نُورَ ائْـمَادِي
أَجِي الْيَوْمَ عِنْدِي ù تَشُوفُ حَالِي يَا مِصْبَاحَ الظَّلَامِ
طُولَ الدَّهْرِ نَشْكِي ù بَدَمَعِي الْعَيْنُ نَبْكِ
رَأْنِي أَمْنِيْنُ نَحْكِي ù مَا جَرَى لِي تَفِيضُ دَمْعُ النِّيَامِ³⁵

و تتنوع الوسائل التعبيرية التي يصطنعها الشاعر في تجسيد رؤيته لواقعه الأليم ، فيستعين بالبناء الدرامي ولاسيما لغته التي تعتمد على البساطة و الوضوح و الإقناع ، و تميل إلى التنوع في استخدام الأساليب الخبرية و الإنشائية ما بين صيغ النداء كقوله : «يا نور» و «يا مصباح» ، و صيغ الأمر في قوله : «أجي» ، مما عمق من رؤيته الشعرية ، أسهم في تكريس عناصر الصراع الداخلي و تفعيله .

و لعل بيان الصفات و وصف الملامح الشخصية لرسول الله عليه الصلاة و السلام لهو من أحب الموضوعات إلى قلوب شعراء المديح النبوي، وهذا ما يسعى ابن مسايب إلى تصويره في قوله :

سَيِّدُ الْوَرَى الْمَلِيْخُ ù مَا لَهُ مَثِيْلُ
حُسْنُ بَدِيْعٍ سَمِيْعٍ ù بَاهِي جُمِيْلُ
مِنْهُ ضَاءُ التَّصْبِيْحِ ù يَخْجُلُ خُجَيْلُ³⁶

و عند رصد الشاعر لشخصية الرسول عليه الصلاة و السلام من باب المدح و الثناء عليها ، نجده يستحضر تارة اسمه الصريح مباشرة: «محمد ، أحمد» ، أو باللقب: «سيد الوري ، سيد الأسياد ، محبوب ربي ، المختار ، المكي ، رسول الله» ، أو بالكنية : «أبو القاسم» ، و هذا ما نراه في الأبيات التالية :

صَاحِبُ لُحُوضٍ أَحْمَدُ لَهَا مَشَى ù سَعَدْنَا بِهِ وَ سَعَدَ جَمِيْعٌ مِّنْ سَلَمٍ³⁷

سَمَّاكَ مُحَمَّدٌ وَ أَحْمَدُ وَ الرُّشِيدُ ù ظَاهِرَةٌ فِيكَ جَمِيعُ مَحَاسِنِ الْقَبُولِ³⁸

سَيِّدُ الْوَرَى الْمَلِيحُ ù مَا لَهُ مَثِيلُ³⁹

عَلَى سَيِّدِ الْأَسْيَادِ ù دَائِمًا طُولُ الدَّهْرِ ثَمِيمًا⁴⁰

يَا مَحْبُوبَ رَبِّي ù يَا النَّبِيَّ الْأَمَجْدَ زَيْنَ الْحَرَامِ⁴¹

بِحُبِّكَ يَا الْمُخْتَارَ ù رَأَهُ عَقْلِي طَارَ⁴²

حُبِّكَ يَا الْمَكِّيَّ ù رَأَهُ نَازِلَ فِي الْقَلْبِ وَ بَنَى خِيَامَ⁴³

الْحُرْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ù الْحُرْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ⁴⁴

عَارِيَّ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ù صَاحِبَ الْوَاءِ وَ الْخَاتَمِ⁴⁵

و أتمَّ الله نعمته في صورة محمد عليه الصلاة و السلام فكان خاتم الأنبياء و صفوهم و خيرهم ، بل و سيد البشر و رحمة العالمين الذي لا مثيل له ، لذا اصطفاه المولى عزَّ و جلَّ و سماه بـ «الحبيب» ، حيث يقول الشاعر في قصيدته «كَيْفَ صَابَرٌ» مستحضراً تلك الفضيلة :

خَالِقِ الْعَرْشِ انْشَاكَ ù فِي الْأَزَلِ اخْتَرَكَ عَدَنَانِي

خَلَقَكَ رَبِّي مُخْتَارَ ù وَ اصْطَفَاكَ حَبِيبَهُ فِي الْأَزَالِ

قَبْلَ الْكُونِ السَّيَّارِ ù قَبْلَ الْأَفْلَاكِ وَ كُلِّ مَنَازِلِ

قَبْلَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ ù قَبْلَ آدَمَ وَ حَوْا النَّازِلِ

فَوْقَ خَلْقِهِ عَلَاكَ ù رَبُّنَا الرَّحِيمُ الرَّحْمَانِي⁴⁶

و في مقطع آخر ، نجد ابن مسايب يعلل سبب امتيازاه عليه الصلاة و السلام عن غيره من الرسل ، فنجده يسبغ على المصطفى كل الصفات التي أهلته لأن يكون خاتم الأنبياء و المرسلين حيث يقول:

فَازَ عَلَيْهِمْ بَسْرُ الْبَهَا ù مَنْ شَرَقَ الدُّنْيَا لَعَرَبَهَا

أَعْطَاهَا لِإِيَّهِ اللَّهُ كُلَّهَا ù أَكْرَمُهُ وَ عَطَى لَهُ

اخْتَارَهُ مَنْ طِيبَ طِينِهَا ù مَنْ أَصْفَى صَفْوَ زَلَالِهِ⁴⁷

و الشاعر ابن مسايب في مدحه لشخصية الرسول عليه الصلاة و السلام يربطه بحادثة تاريخية دينية ألا و هي معجزة الإسراء و المعراج و ما انكشف للمصطفى فيها من أسرار ، و ما منحه الله فيها من نعم كركوب البراق والوقوف بسدرة المنتهى التي عبرها فرض عليه أركان الدين ، فيقول :

وَرَأَى لَيْلَهُ اسْرَاكَ ù يَا أَحْمَدُ شَلًّا رَأَى انْسَانِي
رَكَبْتُ عَلَى الْبُرَاقِ ù مَا سَرَى حَدَّ عَلَيْهِ بِحَالِكَ
خَرَقْتُ سَبْعًا طَبَاقَ ù وَ الْحُجُوبَ بِحُسْنِكَ وَ جَمَالَكَ
وُغْنِمْتُ مَعَ الْخُلَاقِ ù فِي الْمَقَامِ الْمَرْفُوعِ وَ سَالِكَ
مَلِكِ الْمُلْكِ اعْطَاكَ ù عَزَّكَ وَ وَدَّكَ بِالْإِيْمَانِ
بَأَمْرِ الْخَمْسَةِ وَصَّاكَ ù وَ الزُّكَاةَ وَ الْحَجَّ وَ رَمَضَانَ⁴⁸

و ابن مسايب شاعر متفرد في شعر المديح النبوي ، و تفرد به هذا سببه موضوعاته و مضامينه التي اختارها لمدح خير الأنام عليه الصلاة و السلام ، فعُدَّة شعره المدحي كلها تدور حول حب المصطفى والتفاني في ذكر اسمه و التهليل بفضائله و معجزاته ، فما كان من الشاعر إلا أن أعلن ولاءه قائلاً :

مَدَّاحٍ مَدْحَكَ بِأَنْشَادِي ù حَتَّى نَصِيرُ نَلْقَى اللَّهَ
مَدَّاحٍ مَدْحَ الْعَدْنَانِي ù بِالْقَلْبِ وَ الْعَقْلِ وَ لِسَانِي
مَوْلُوعٌ بِهِ طُولَ زَمَانِي ù ذِكْرُهُ فِي خَاطِرِي مَا حُلَاةَ
أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ فِي أَرْكَانِي ù مَدْحُ النَّبِيِّ رُسُولَ اللَّهِ⁴⁹

إلى أين يقول في الختام :

مَدْحُ الرُّسُولِ فِيهِ كُرَايِمُ ù وَ يُزِيدُ فِي الْقُلُوبِ غَنَائِمُ
مُحَمَّدٌ بِنُ مَسَايِبُ مَدْحَكَ ù عَلَى النَّاسِ يَفْتَخَرُ بِمِقْدَارِكَ⁵⁰

3 - الخصائص الفنية و الأسلوبية :

اتكأ الشاعر في رسم ملامح شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام على توظيف مجموعة كبيرة من الأبنية اللغوية و البلاغية نذكر منها :

1.3 سيميائية الفضاء : ثمة فضاءان اثنان يوطران حركية شعر المديح النبوي :

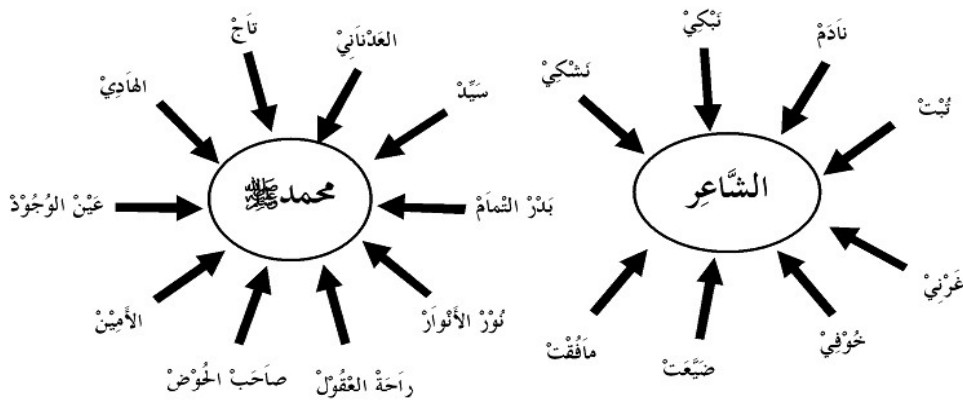
i فضاء مغلق .

⇐ فضاء مفتوح .

الفضاء الأول : شكّل حيزاً مألوفاً استأنس به ابن مسايب و اتخذهُ مرجعاً يرسم من خلاله في ذاكرته عالماً محدداً في انطوائه على نفسه و مخاطبته إياها و هي في حال من البؤس و الألم و ذلك في قوله : **تَشُوفُ حَالِي، وَ لَوْنِي أَصْفَرَ مَذْبُولٌ، وَ صَرْتُ مَهْبُولٌ، وَ طَوْلُ الدَّهْرِ نَشِيٌّ،** ثم يَتَّبِعُ هذه المعالم بمحدداتٍ تنشدُ الإنابة إلى مرجعيته الدينية و الاعتراف بالذنب و رجاء قبول التوبة : **رَأَيْتُ عَلَى فُعَالِي نَادَمَ ، إِبْلِيسَ غَرْنِي بِهِوَاهُ ، رَبِّي يَا اللَّهَ اغْفِرْ لِي .**

أما الفضاء الثاني : فهو فضاء ترسمهُ المؤشرات الدالة على شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة و السلام العظيمة ، التي أراد الشاعر من وراء تصويرها التعبير عن مدى حبه للرسول عليه الصلاة و السلام لينال رضاه و شفاعته. من مثل قوله : **سيد الأسياد ، يا أبا القاسم ، و يا صاحب الشفاعة ، يا محمد ، يا رسول الله، ... إلخ .** كما تشير بعض السمات الدلالية الأخرى إلى صراع من نوع آخر ،

صراع بين كل من الحركة و السكون ، و بين الواقع و الأمل ، سمات دلالية تتجمع لتوحي بهول الخوف الذي يحيط بالشاعر و طمعه في عفو الله سبحانه و تعالى عنه بعد مدحه لخير الورى محمد عليه الصلاة و السلام . ويمكن توضيح هذا الصراع في الرسم الآتي :



فضاء مفتوح = حركة

فضاء مغلق = سكون

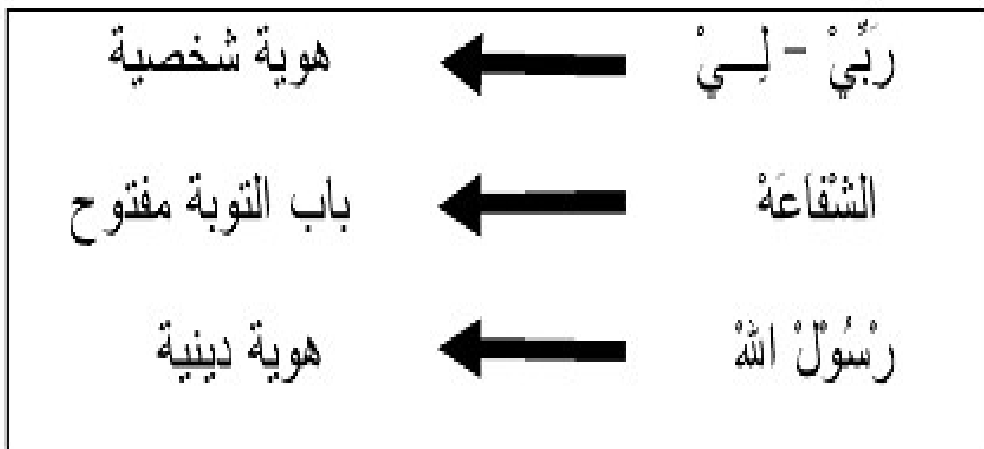
و بِحَسِّ إحصائي عام، نلاحظ أن السّمات الدّالة على الحركة هي أكثر من السّمات الدالة على السكون، و ذلك لأنّ إحساس الشاعر بالسعادة والأمل متعلق بمدى قربه من النبي الكريم ليخفف عنه وطأة الخوف والأمان ، مما يرسم لنا بوضوح عالم القصيدة المتصارع بين قُطْبَيْن مُتناقضَيْن .

2.3 هوية الألفاظ : لم يَعدْ موضع خلافٍ من أنّ الشاعر إذا أراد أن يُحرِّك خيال قرائه عليه أن يقوم بعملية اختيار دقيقة لألفاظه واستكناه دلالاتها وإعادة صياغتها حتّى تَصَعِّقَ المتلقي في عُمق التجربة لا على سطحها، و وفق هذا التكوين ستقيم : «علاقات جديدة بين الإنسان و الأشياء ، و بين الأشياء و الأشياء ، و بين الكلمة و الكلمة صلى الله عليه و سلم...» و تقدم صورةً جديدةً للحياة و الإنسان»⁵¹ . و بهذا يكون لكلّ شاعرٍ مُعْجَمُهُ الشعري الخاص به، و يتوقف تأثير ألفاظه على مدى حركيتها داخل القصيدة و تعبيرها عن المواقف المحددة أو بعض وجهات النظر. و من ثم جاء فهم ابن مسايب لألفاظه و تمكينه لوظيفتها المحددة وفق ما يلي :

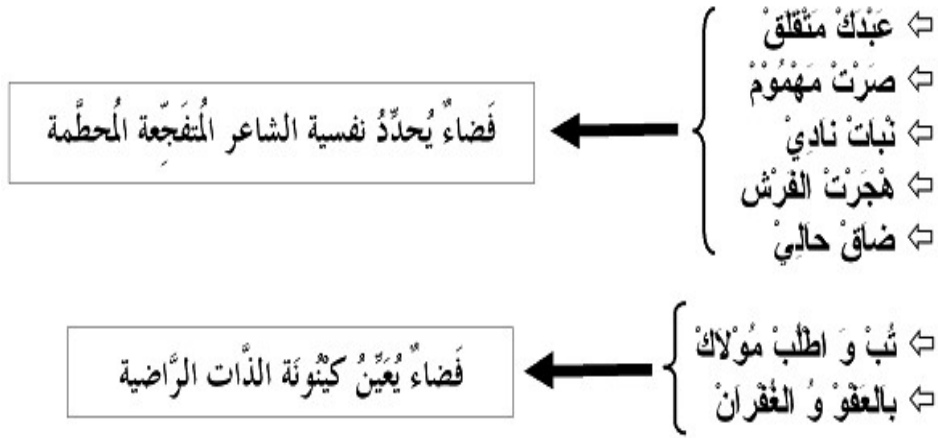
1.2.3 الألفاظ الدالة على الهوية الدينية :

أ / استخدم الشاعر في تحديد هويته الدينية العبارات التالية :

i «رَبِّي يَا اللَّهَ اغْفِرْ لِي» : فكانت لازمة نفسية أكّدت بها على انتمائه الديني و هويته العقائدية داخل القصيدة ، وعلاقتها بالأمل المرجو في الغفران و قبول التوبة :



ب / الهوية النفسية و الوجدانية :



2.2.3 الألفاظ الدالة على الغياب و الحضور : تجسدت الحركة الدلالية لألفاظ

القصيدة على الشكل التالي :

i المفردات الدالة على الغياب : طَارَ - غَابَ - فَقَدَ - لَا ذَاقَ - لَا جَرَبَ - مَا قَبِضَ .

ii المفردات الدالة على الحضور : حُبَّكَ - ذَكَرَكَ - مَحْبُوبٌ - زَيْنَكَ - قَاصِدٌ - ذِكْرُهُ .

فقد غلب على القصيدة استخدام الألفاظ الدالة على القبول ، لأنَّ الشاعر لم يجد خيراً من التوجُّه إلى كُلِّ من الله عزَّ و جلَّ راجياً منه أن يتقبَّلَ توبته عمَّا بدرَ منه من الزَّلَّ و الدَّنْبَ ، و إلى النبي الكريم محمد عليه الصلاة و السلام أن يشفَّعَ فيه يوم لا ينفع مال و لا بنون إلَّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليمٍ، و هي سمة معظم الشعراء الراغبين في الانتقال من مرحلة الانحراف إلى طور الاستقامة ، و بذلك برز مدى صدق الشاعر في تديُّنه و عظيم حبه للرسول الأمين محمد عليه الصلاة و السلام .

3.2.3 الألفاظ الدالة على التحويل التقابلي : يتميز التقابل البنائي أو التضاد بفاعليته

الدلالية في كشف العلاقات الداخلية للنص و تصعيد حركتها ذلك : «أننا حينما نكتب كلمة، أو ننطقها، أو نقرأها، نتوقع أن تتلوها كلمات أخرى مثل ليل / نهار ، مما يُكوِّن مُتتاليةً كلاميةً تحتوي على لَفْظَيْنِ أو ألفاظٍ متقابلة»⁵².

و يشكل التقابل / التضاد في شعر المديح النبوي عند ابن مسايب محورياً أساسياً عبر ثنائيات تتشابه فيها أنساق غزيرة الإيماء و التلويح على امتداد الأبيات ، على أن التضاد في قصائده المدحية لا يتحدد فقط بين الكلمة و الكلمة ، و إنما يتسع و يمتدُّ إلى أبعد من ذلك بحركة تتضافر فيها الأضداد مع الجملة و الفعل و اسم الفاعل و المصدر

و الجار و المجرور و أحرف الجواب و غيرها. و قد ساعدتنا عملية إحصاء السياقات الضدية الموجودة في تلك النماذج الشعرية على تأسيس فكرة مفادها أن ابن مسايب وُقِّعَ إلى حدٍّ كبيرٍ في استثمار هذه الثنائيات في إبداع صورته الشعرية التي ابتعدت عن كونها زُخْرُفًا لفظياً بل صارت في أكثر الأحيان نسيجاً تقابلياً فيه الصورة و المعنى .

ومن الثنائيات الهامة في تجربة ابن مسايب الشعرية لهذه القصيدة ثنائية «الحزن/الفرح» ، و الشاعر يعبر عن هذه الثنائية تارة بشكل مباشر و واضح ، و أخرى عن طريق استخدام مرادفات أو صفات و حالات تدل عليها. و من أمثلة ذلك قوله :

خَيْفَانُ جَيْتَ عِنْدَكَ قَاصِدٌ ù الْحُرْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

تتجسد الثنائية المعنوية بين المفردتين «خَيْفَانُ» و «عِنْدَكَ قَاصِدٌ» بشكل مباشر حيث يعيش الشاعر حالة اليأس من قسوة الزمن ، فلم يجد ملجأ غير مخاطبة الرسول : « الكاف » باعتباره المرجعية و المنقذ و معقد الأمل «رَسُولَ اللَّهِ» ، إلا أن الشعور الوحيد في هذا المقام يحيلنا على حقيقة الإيمان بالرسول الشفيع يوم القيامة .

ثم نقرأ في بيت آخر استخدام الشاعر لأسلوب التقابل بين الكلمات ، و التراسل بين التراكيب في قالب تقابلي تكاملي بشكل مباشر. و ذلك حين يقابل بين الشباب و الشيب دون أن يُرَجَّح أحدهما على الآخر :

صَيَّعْتُ فِي الْغُرُورِ شَبَابِي ù مَا فِثْتُ حَتَّى اكْسَانِي شَيْبِي .

يتحدث الشاعر عن دورة الزمن و هيمنتها على حياته الآثمة حتى الهرم ، حيث تحدث اللفظتان «شَبَابِي» و «شَيْبِي» نوعاً من التلاقي التناسي بمعنى دلالي متقارب من حيث الدلالة الزمنية: «الشباب / الهرم». وتكشف لنا هذه الحالة عن حدة التوتر التي عاشها الشاعر بسبب المعصية خلال مساره الحياتي مما أفضى إلى تأسيس علاقة بين : «قُوَّةُ فَاعِلَةٍ و ذات مُنْفَعِلَةٍ»⁵³ .

من خلال هذه الثنائيات وغيرها ، يتبين لنا أن ابن مسايب أقام بناء قصائده المدحية على المفارقة القائمة على التضاد و التوازي في الصياغة و الدلالة ، طرفها الأول : معاناة النفس و حثها على هجر ملذات الحياة بكل ما ترمز إليه من معاني المادية و المعاصي و البكاء ، و الحزن ، الجرح ، و الموت ، و طرفها الثاني حب الرسول عليه الصلاة و السلام بكل ما يرمز إليه من معاني المدح ، و العظمة ، و الاستغاثة ، و الشوق ، و الرحمة ، و

الأمان . و بالإضافة إلى هذه المفارقة الكبرى التي قام عليها بناء القصيدة ، فقد دَعَمَهَا ابن مسايب بمجموعة من المفارقات الجزئية التي تفاعلت بينها و جعلت من بناء قصائده ينمو و يتطور و تتوالد صورته و رموزه . و من هنا يمكن القول : « إِنَّ قِيَمَةَ التضاد الأسلوبية تكمن في نظام العلاقات ، الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين و على هذا فلن يكون له أيّ تأثير ما لم يَتَدَاعَ في توالٍ لغويٍّ ، و بعبارة أخرى : فإنّ عمليات التضاد الأسلوبية تَحْلُقُ بنيةً ، مثلها في ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة في اللغة »⁵⁴.

2.3 المستوى التركيبي :

دخل ابن مسايب إلى شعر المديح النبوي في لحظات من التصدّع النفسي تحت وطأة ضغوطات وانفعالات نفسية متتالية ، فبعد أن قضى مرحلة من حياته في الوقوع في الموبقات والإقبال على اللذائذ والشهوات شأنه شأن غيره من الناس ، إلّا أنه تاب وأناب إلى ربّه و طلبَ الشفاعة من نبيه عليه الصلاة والسلام راجياً الصفح والغفران . و لذلك نجده يُعيد بناء لغة قصائده المدحية لِتُجَارِي تلك التجربة وضوحاً و دلالةً ، و إذا كان المستوى التركيبي يُعْنَى بالتركيب النحوي و التركيب البلاغي، فإنّ الوقوف عند الأول منهما سيكون سريعاً، لأن الملاحظ على المستوى النحوي أنه بعيد عن التعقيد و الانزياح ، و قد ظَلَّت الجملة تتحرّك ضمن خصائص الجملة العربية المألوفة ، جاريةً على مجراها ، بسيطةً قليلةً التقديم و التأخير ، لا تعقيد و لا التواء فيها.

1.2.3 التركيب النحوي : و لعل أول خاصية من خواص التركيب النحويّ عند ابن مسايب الاعتماد على بنية النداء التي تعكس تأملات ابن مسايب و رؤاه الفكرية و الدينية في إبداع صورٍ حيّةٍ تتركّز فيها الدلالة ، و هذا ما نراه في قوله :

رَبِّي يَا اللَّهَ اغْفِرْ لِي ù فَضْلَكَ كَثِيرٌ تَتَرَجَاهُ

عَارِي عَلَيْكَ يَا مُحَمَّد ù عَارَ الْغَلَامِ عَلَى مُوَلَاهُ

حُبِّكَ يَا الْمَكِّي ù رَأَهُ نَازِلٌ فِي الْقَلْبِ وَ بَنَى أَخِيَامَ

حُبِّكَ يَا الْمُخْتَار ù رَأَهُ عَقْلِي طَارَ

فالشاعر في بداية هذه الأبيات يبتهل إلى المولى عز و جلّ طالباً منه العفو و الغفران ، ثم ما يلبث بعد ذلك يُكثِرُ من النداءات التوسّلية الداخلية التي يوجهها إلى الشفيع محمد عليه الصلاة و السلام يستغيثه فهو النبي الذي لا ترد في العصاة شفاعته ، و

مستخدماً في ذلك تارة اسمه الشريف و تارة ألقابه .

ثم إنَّ قصائد الشاعر المدحية حافلة بالنداء في أساليب المدح و الحب العظيم للرسول عليه الصلاة و السلام ، وذلك من خلال توظيف بنية الإضافة بين المضاف و المضاف إليه التي أدت إلى تكثيف دلالة الحب النبوي و تعميق إيحاءها من خلال هذا التركيب الإضافي الذي عُرف به أسلوبه و هذا ما نجده في قوله :

الحُرْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ù الحُرْمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
خَيْفَانٌ جِئْتُ عِنْدَكَ قَاصِدٌ ù يَا صَاحِبَ الشَّفَاعَةِ الْأُمَجْدُ
عَارِيٌّ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ù صَاحِبَ اللُّوَاءِ وَ الْخَاتَمِ
كَيْفَ الْقَلْبُ يَنْسَاكَ ù يَا ضِيَاءَ عَيْنِي يَا بَذْرَ التَّمَامِ

أدَّى تكرار النداء بصيغة المضاف إلى خَلْقِ ظلالٍ و إحياءٍ جديدةٍ تشكَّلت في تتابعٍ مُتصاعِدٍ يُعَبِّرُ عن حال الاستكانة و الاطمئنان للرسول الكريم بأكبر قدرٍ من العطف و الحب و الرضا . و قد جاءت تلك التكرارات بقوةٍ في التعبير و جمالٍ في الصياغة.

2.2.3 التركيب البلاغي :

أما النوع الثاني من المستوى التركيبي في قصائد ابن مسايب المدحية فهو التركيب البلاغي ، و يسعى هذا النوع من التركيب إلى توليد صورٍ متتاليةٍ ، بها تتجسَّدُ الأحاسيس و تُشَخَّصُ الأفكار و الخواطر، و تتكشفُ رؤى الشاعر الخفية منها و الحقيقية، ولذلك عُرِفَتْ بأنها: «رسمٌ قوامُهُ الكلمات المشحونة بالإحساس و العاطفة»⁵⁵. و من أبرز المظاهر البلاغية في القصائد :

أ. التشبيه الذي حَقَّقَ بُعْداً مجازياً ، وهذا ما تبدَّى في النماذج التالية :

A سَعْدِي بِكَ سَعْدَيْنُ ù لَأَنَّكَ يَا ضِيَاءَ الْعَيْنِ.

نجد أنفسنا أمام تشبيهٍ ذي صورتين متقابلتين هما «سَعْدِي بِكَ سَعْدَيْنُ» و «لَأَنَّكَ يَا ضِيَاءَ الْعَيْنِ» ، و تجمعهما علاقة مشابهة هي السعادة التامة التي لا توصف، حيث تأتي الصورة الأولى «سَعْدِي بِكَ سَعْدَيْنُ» على مسافة الفرحة المزدوجة التي انتابت الشاعر النابعة من المكونات التالية :

«الفرحة الأولى + الشاعر + الرسول + الفرحة المزدوجة». في حين تملك الصورة

الثانية «لَأَنَّكَ يَا ضِيَا الْعَيْنِ» طاقة تعبيرية ودلالية خاصة تجسدها البهاء الساطع في شخص رسول الله الذي منح للشاعر فرصة الأمل والاطمئنان. وبهذا ، فقد أعطت بنية هذا التشبيه للصورة الشعرية بُعداً دلالياً إيحائياً مما زاد التشبيه دقّةً وجمالاً.

A ذَكَرْكَ وَرَدَ مَنْقُولٌ ù بِهِ الْقَلْبُ مَشْغُولٌ.

نحن أمام تشبيه بليغ ، تجسد في علاقة المشبه «ذكرك» بالمشبه به «ورد» قائمةً . و نلاحظ أن الشاعر نسّق - بالضمير «الكاف» الذي يعود على الرسول عليه الصلاة و السلام - بين الصورتين التاليتين ، صورة طيف الحبيب المصطفى الذي هو في كل مكان ، و صورة الورد العبق بعطره المتنقل ، في صورة تشبيهية اعتمدت الأسلوب الحسيّ منطلقاً لها.

ب. الاستعارة : و هي من أهم ما يميز قصائد ابن مسايب ، فلا يكاد يخلو منها بيت من قصائده المدحية ، بل قلّ كلّها أحياناً تتّسعُ لعدد كبير من الاستعارات . و من أمثلة ذلك قوله :

A زَايِدٌ لِلْقَلْبِ هُلَاكٌ ù كُلُّ هَمٍّ شَرِبْتُهُ بِاحْفَافِي.

عملت الاستعارة في قوله : « هَمٍّ شَرِبْتُهُ بِاحْفَافِي » على التشخيص والتجسيد والتصوير للمدركات المجردة والعقلية ، و إخراجها في صورة ملموسة محسوسة ، وذلك لأنّ الذهن غالباً ما لا يدرك الأشياء المجردة ، بقدر ما يدرك مثالاتها وتصاويرها التي تنوب عنها وتقوم مقامها على المشاكلة والموافقة والمشابهة. و من ثم تغدو تلك الصور المستعارة أكثر جمالية مما كانت عليه

و من ثم لا تغدو : «الاستعارة مجرد تغيير في المعنى بل مسخُّ هذا المعنى»⁵⁶ . و قوله أيضاً :

A بِحُبِّكَ يَا الْمُخْتَارَ ù رَأَى عَقْلِي طَارَ .

يؤكد ابن مسايب في هذا البيت على بقاء حبّ النبي الكريم كالعلامة الخالدة الراسخة في ذهنه ، و العلة في ذلك الكلمة المجازية « طَارَ » التي حَفَزَتْ فِعْلَ الحركة «الشروء» إضافةً حركيةً أزاحت السكون من البيت الشعري .

ج. **الكنيات** : و هي كثيرة في قصائده المدحية نذكر منها :

A بِغْرَامَكَ ذَا الْيَامَ ù صِرْتُ مَهْمُومٌ وَ نُبَاتٌ اَنَادِي.

و إذا تأملنا هاتين الصّفتين : «بِغْرَامَكَ» و «نُبَاتٌ اَنَادِي» وجدنا أنّ كلّاً منهما كُنِّي به إلى مدى إصرار الشاعر على حبّ النبي عليه الصلاة و السلام و مقدار تفانيه بهذا الحبّ .

و في مثال آخر يمدح فيه النبي الكريم عليه الصلاة و السلام :

A سُبْحَانَ مَنْ عَلَاهُ ù فَاقَ كُلُّ نُورٍ

الشاعر في هذا المقام يعترف برفعة النبي عليه الصلاة و السلام و مكانته عند ربه . و قد عدّل عن التصريح باسمه عليه الصلاة و السلام باستعمال الضميرين: الأول المتصل «الهاء» في «عَلَاهُ» والثاني المستتر «هو» في «فَاقَ».

و بهذا ، فقد بدّت الصُّور و المخيلة في القصيدة مليئةً بالانفعالات و الانطباعات، عامرةً بالمشاعر المتباينة، لكن بُعْدها الجمالي و الفنيّ كان بارزاً حيث أعطى المعنى إمكانيات إيحائية أكثر ، بل إنّ الصورة الشعرية الحقيقية عند ابن مسايب، وجدناه يأخذها تارة كما هي لا يُحَرِّفُ و لا يُبَدِّلُ منها شيئاً ، فتبدو و كأنها ليست من صُنْعِهِ ، نافرةً في السياق ، و أحياناً يُعَدِّلُ فيها حيث يُضْفِي عليها من شاعريته ما يجعلها تتناسب في داخل السياق .

الخاتمة :

- عبر هذه الرحلة القصيرة تكشّفت لنا من خلال الرؤية الموضوعاتية و الفنية لشعر المديح النبوي عند الشاعر محمد ابن مسايب النتائج التالية :

1. اتجه المديح النبوي الشعبي في الشعر الجزائري على اتجاهين : الأول هو ما كان امتداداً للتراث القديم في هذا الموضوع ، و هو يرتبط أساساً بالنظرة الصوفية إلى حد كبير . أما النوع الثاني فهو الذي اتخذ من مدح الرسول عليه الصلاة و السلام مبدأً الدعوة إلى النهوض و اليقظة و ذلك بعد أن تطورت الحياة الفكرية والأدبية و السياسية .

2. القارئ لديوان ابن مسايب يستوقفه ذلك الكم الهائل من شعره في المديح النبوي الذي كان محركها الأساسي هو حب ذات الرسول عليه الصلاة و السلام ، هذا

الحب الذي ثبته في نفسه بطرق مختلفة ، فراح مرة يتوسله و يناجيه ، و مرة أخرى يعرض ما عُرِفَ عن شخصيته عليه الصلاة و السلام و أوصافه .

3. تنوعت الوسائل التعبيرية التي اصطنعها الشاعر لتجسيد سواء رؤيته لحالته الأليمة الآثمة أو للتعبير عن إخلاصه و تفنيه في حب الحبيب المصطفى عليه الصلاة و السلام ، فاستعان في ذلك بالبناء الدرامي و لاسيما لغته التي تعتمد على البساطة و الوضوح و الإقناع ، و تميل إلى التنوع في استخدام الأساليب الخبرية والإنشائية ما بين صيغ النداء و الأمر ، و الصور المجازية ما بين الاستعارة و التشبيه . كما اتخذ لبناء شعره في المديح النبوي أساليب متعددة ، كان منها المعجم اللغوي و التقابلات و التركيبات النحوية و البلاغية .

4. في الكثير من قصائد المديح النبوي ، كان ابن مسايب ينظر فيها إلى النبي عليه الصلاة و السلام نظرة روحية خالصة، بحيث ينبني المديح عنده عادة إلى جزأين متقابلين : أحدهما يجسد بُعد الغياب ممثلاً في الذات الناقصة «السالك / الشاعر»، و آخرهما يجسد بُعد الحضور ممثلاً في الذات الكاملة أي «النبي صلى الله عليه وسلم» لينتهي المديح باجتماع الناقص بالكامل اجتماع توسل .

5. كانت عُدَّة شعره المدحي كلها تدور حول حب المصطفى والتفاني في ذكر اسمه و التهليل بفضائله ومعجزاته ، إلى حد أن كان من الشاعر أن أعلن ولاءه التام له قائلاً :

مَدَّاحٌ مَمْدَحُكَ بِأَنْشَادِي ù حَتَّى نَصِيرُ نَلْقَى اللَّهَ
مَدَّاحٌ مَمْدَحُ الْعَدْنَانِي ù بِالْقَلْبِ وَ الْعَقْلِ وَ لِسَانِي
مَدْحُ الرُّسُولِ فِيهِ كُرَايِمٌ ù وَ يَزِيدُ فِي الْقُلُوبِ غَنَائِمُ
مُحَمَّدٌ بِنُ مُسَايِبٌ مَدْحُكَ ù عَلَى النَّاسِ يَفْتَخَرُ بِمُقْدَارِكَ

6. تبقى قصائد المديح النبوي الشعبي تمثل البذور الأولى للشعر الديني ، كما ستظل تجسد تلك المادة الأدبية ذات القيمة الكبيرة فنياً و مضمونياً ، سواء عبر تشبُّع الشاعر بتلك الروح الدينية العالية التي أفضت إلى التعبير عن الحب الصادق لشخص النبي عليه الصلاة و السلام ، أو من خلال رغبته في أن يُعَمِّقَ في نفس الآخرين الإيمان بصاحب الرسالة عليه الصلاة و السلام والارتباط به برباطٍ تعبديٍّ متينٍ و مميزٍ.

إحالات البحث

1. ابن مسايب ، الديوان - جمع و تحقيق : محمد بن الحاج الغوثي بخوشة - تلمسان - مطبعة ابن خلدون - ب.ط- 2001 - ص 47 .
2. أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب - القاهرة - مكتبة نهضة مصر - ط 3 - 1964 - ص 197 .
3. ابن رشيقي القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - المكتبة التجارية- ط3 - 1963 - ج 2 - ص 131 .
4. أبو طالب عم النبي صلى الله عليه و سلم ، الديوان / شرح محمد التونجي - بيروت - دار الكتاب العربي - ط 1 - 1994 - ص 54 .
5. المصدر نفسه - ص 37 .
6. المصدر نفسه - ص 91 .
7. البخاري ، الصحيح - كتاب بدء الخلق - رقم 3041 - ج 3 - ص 1176 ، مسلم ، الصحيح - رقم 2486 - كتاب فضائل الصحابة - ج 4 - ص 1933 .
8. حسان بن ثابت ، الديوان - بيروت - دار الكتب العلمية - ط 2 - 1994 - ص 144 .
9. المصدر نفسه - ص 47 .
10. كعب بن زهير ، الديوان / تحقيق : محمد يوسف نجم. - بيروت - دار صادر - ط 1 - 1995 - ص 26 .
11. المصدر نفسه ، و الصفحة نفسها .
12. الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، الديوان / شرح : محمد قاسم. - بيروت - المكتب الإسلامي - ط 1 - 1994 - ص 45. 13. أبو رياس القيسي ، شرح هاشميات الكميت - تحقيق : داود سلوم و نوري حمودي القيسي - ص 110 - 111 .
14. زكي مبارك ، المدائح النبوية في الأدب العربي - دمشق - دار الكاتب العربي - ب.ط - ت - ص 173 .
15. ديوان البوصيري - / شرح : محمد ألتونجي - بيروت - دار الجيل - ط 1 - 2002 - ص 165 .
16. المصدر نفسه - ص 9 .
17. صفى الدين الحلي ، الديوان - بيروت - دار صادر - ط 1 - 1990 - ص 685 .
18. ابن جابر الأندلسي ، الحلة السيرا في مدح خير الورى ، تحقيق : علي أبو زيد -

- بيروت - عالم الكتب - ط 2 - 1985 - ص 94 .
19. محمود سامي البارودي ، كشف الغمة في مدح سيد الأمة محمد - دمشق - دار القادري للطباعة و النشر - ط1 - 1998 - ص 122 .
20. أحمد شوقي ، الشوقيات - بيروت - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1990 - ج 1 - ص 190 .
21. عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث - الجزائر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ط1 - 1981 - ص 50.
22. صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية - الجزائر - المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع - د.ط - د.ت - ص 51 .
23. أحمد بن التريكي ، الديوان - جمع وتحقيق : عبد الحق زريوح - الجزائر - مطبعة ابن خلدون - ط1 - 2001 - ص 52 .
24. المصدر نفسه - ص 53 .
25. سعيد بن عبد الله المنداسي ، الديوان - جمع و تحقيق : رابح بونار - الجزائر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ب.ط - ص 52 .
26. الأخضر بن خلوف ، الديوان - تحقيق: محمد الحاج غوثي - الجزائر - مطبعة ابن خلدون - ب.ط - ب.ت - ص 28 .
27. المصدر نفسه - ص 31 .
28. زكي مبارك ، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق - بيروت - منشورات المكتبة العصرية للطباعة و النشر - ب.ط - ب.ت - ص 239 .
29. ابن مسايب ، الديوان - ص 133 .
30. المصدر نفسه - ص 154 .
31. المصدر نفسه - ص 132 .
32. ينظر: أحمد مجاهد ، أشكال التناسل الشعري - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص 315 .
33. المصدر السابق - ص 155 .
34. نجيب الكيلاني ، إقبال : الشاعر و الثائر - بيروت - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1990 - ص 67 .
35. المصدر السابق - ص 154 و 155 .

36. المصدر نفسه - ص 133 و 134 .
37. المصدر نفسه - ص 109 .
38. المصدر نفسه - ص 110 .
39. المصدر نفسه - ص 133 .
40. المصدر نفسه - ص 150 .
41. المصدر نفسه - ص 154 .
42. المصدر نفسه - ص 155 .
43. المصدر نفسه - ص 156 .
44. المصدر نفسه - ص 158 .
45. المصدر نفسه - ص 158 .
46. المصدر نفسه - ص 149 و 150 .
47. المصدر نفسه - ص 213 .
48. المصدر نفسه - ص 150 .
49. المصدر نفسه - ص 159 .
50. المصدر نفسه - ص 160 .
51. أحمد طاهر مكي ، الشعر العربي المعاصر - القاهرة - دار المعارف - ط 1 - 1992 - ص 81 .
52. محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري : استراتيجية التناص - الدار البيضاء - 1992 - ص 61 .
53. أبو ديب كمال ، شوقي و الذاكرة الشعرية : دراسة في بنية النص الإحيائي - مجلة فصول - ج 1 - مج 3 - ع 1 - 1982 - ص 99 .
54. صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته - جدّة - كتاب النادي الأدبي - 1988 - ص 256 .
55. سي دي لويس ، الصورة الشعرية - ترجمة / أحمد نصيف الجنابي و آخرون - الكويت - ب.ط - 1982 - ص 23 .
56. جون كوهن ، بنية اللغة الشعرية - ترجمة : محمد الولي و محمد العمري - الدار البيضاء - دار توبقال للنشر - ط 1 - 1986 - ص 214 .

مصادر البحث و مراجعه

- ابن جابر الأندلسي ، الحلة السيرا في مدح خير الوري، تحقيق: علي أبو زيد - بيروت - عالم الكتب - ط 2 - 1985-.
- ابن رشيقي القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده / تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - المكتبة التجارية- ط3 - 1963 - ج 2 .
- ابن مسايب ، الديوان - جمع و تحقيق : محمد بن الحاج الغوثي بخوشة - تلمسان - مطبعة ابن خلدون - ب.ط- 2001 .
- أبو ديب كمال ، شوقي و الذاكرة الشعرية : دراسة في بنية النص الإحيائي- مجلة فصول - ج 1 - مج 3 - ع 1 - 1982.
- أبو رياس القيسي ، شرح هاشميات الكميت - تحقيق : داود سلوم و نوري حمودي القيسي - ص 110 .
- أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، الديوان / شرح محمد التونجي - بيروت- دار الكتاب العربي - ط 1 - 1994.
- أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب - القاهرة - مكتبة نهضة مصر - ط 3 - 1964 .
- أحمد بن التريكي ، الديوان - جمع وتحقيق : عبد الحق زريوح - الجزائر - مطبعة ابن خلدون - ط 1 - 2001 .
- أحمد شوقي ، الشوقيات - بيروت - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1990 - ج 1 .
- أحمد طاهر مكي ، الشعر العربي المعاصر - القاهرة - دار المعارف - ط 1 - 1992 .
- الأخضر بن خلوف ، الديوان - تحقيق: محمد الحاج غوثي - الجزائر - مطبعة ابن خلدون - ب.ط - ب.ت .
- الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، الديوان / شرح : محمد قاسم- بيروت - المكتب الإسلامي - ط 1 - 1994 .
- البخاري ، الصحيح - كتاب بدء الخلق - رقم 3041 - ج 3 .
- جون كوهن ، بنية اللغة الشعرية - ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري- الدار البيضاء - دار توبقال للنشر- ط1- 1986
- حسان بن ثابت ، الديوان - بيروت - دار الكتب العلمية - ط 2 - 1994 .
- ديوان البوصيري - / شرح : محمد ألتونجي - بيروت - دار الجيل - ط 1 - 2002 .

- زكي مبارك ، المدائح النبوية في الأدب العربي - دمشق - دار الكاتب العربي - ب ط - ب. ت .
- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق-بيروت- منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر-ب.ط-ب.ت .
- سعيد بن عبد الله المنداسي ، الديوان - جمع و تحقيق : رابح بونار- الجزائر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - ب.ط .
- سي دي لويس ، الصورة الشعرية - ترجمة / أحمد نصيف الجنابي و آخرون - الكويت - ب.ط - 1982 .
- صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية - الجزائر - المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع - د.ط - د.ت .
- صفي الدين الحلي ، الديوان - بيروت - دار صادر - ط 1 - 1990 .
- صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته - جدّة - كتاب النادي الأدبي - 1988 .
- عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث - الجزائر - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - ط 1 - 1981 .
- كعب بن زهير ، الديوان / تحقيق : محمد يوسف نجم. - بيروت - دار صادر - ط 1-1995 .
- محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري : استراتيجية التناص - الدار البيضاء - 1992 .
- محمود سامي البارودي ، كشف الغمة في مدح سيد الأمة محمد - دمشق - دار القادري للطباعة و النشر - ط 1 - 1998 .
- مسلم ، الصحيح - رقم 2486 - كتاب فضائل الصحابة - ج 4 .
- نجيب الكيلاني ، إقبال : الشاعر و الثائر - بيروت - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1990 .